لماذا يكذب السياسيون؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة

لماذا يكذب السياسيون؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

جون ميرشايمر

ترجمة

غانم النجار

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ميرشايمر، جون
لماذا يكذب السياسيون؟: حقيقة الكذب في السياسة الدولية/ جون ميرشايمر؛ ترجمة غانم النجار.
208 صفحة؛ 21 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (صفحات 177-194) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-703-0
1. العلاقات الخارجية - الجوانب الأخلاقية والدينية. 2. الأخلاق السياسية. 3. الكذب - الجوانب السياسية. أ. النجار، غانم (مترجم). ب. السلسلة.
172.4

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

Why Leaders Lie
The Truth about Lying in International Politics
by John J. Mearsheimer
Copyright © John J. Mearsheimer, 2011
عن دار النشر
Oxford University Press
First published by Oxford University Press
Translation rights arranged by The Clegg Agency, Inc., USA.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر
المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 40356888 00974
جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/ سبتمبر 2025

المحتويات

مقدمة المترجم (2025) 7

مقدمة المترجم (2016) 19

توطئة 27

مقدمة 33

الفصل الأول: ما هو الكذب؟ 49

الفصل الثاني: أنواع الأكاذيب الدولية 57

الفصل الثالث: الكذب بين الدول 63

الفصل الرابع: إثارة الذعر 95

الفصل الخامس: التغطيات الاستراتيجية 123

الفصل السادس: الأساطير القومية 135

الفصل السابع: الأكاذيب الليبرالية 143

الفصل الثامن: سلبيات الأكاذيب الدولية 151

الفصل التاسع: خاتمة 171

المراجع 177

فهرس عام 195

مقدمة المترجم
(2025)

يناقش الكتاب الكذب في السياسة، ويحاول تحليله في مقدمة أكاديمية تحليلية مركِّزًا على الحالة الأميركية. إلا أن الكتاب كان وليد حقبة صدوره (2012)، حيث كان يمكن رصد الكذب وتتبعه، تقليديًا، عبر البحث والتحري. إلا أن التحولات التكنولوجية غيّرت من مفاهيم الكذب في السياسة تغييرًا شمل الأدوات والمضامين، لذلك كان من الضروري كتابة مقدمة تحاول سبر أغوار تلك التحولات، مقدمة قد يتبعها باحثون لإثراء المجال وتطوير المعرفة حوله، كما سنحاول في الصفحات التالية.

ما إن ألقى الرئيس الأميركي المنتخب دونالد ترامب خطابه في حفل تنصيبه في 20 كانون الثاني/ يناير 2025، في رئاسته الثانية، حتى حلّل عدد من المؤسسات "الفاحصة للكذب" مضمون خطابه، لتعلن أن الخطاب قد تضمّن الكثير من المعلومات المغلوطة، سواء عن الهجرة أو التضخم أو انتخابات عام 2020 وغير ذلك، ولتعلن عن واقع جديد في كيفية التعاطي مع الكذب، وكيفية التصدي له. ويبدو أن الحقبة المقبلة ستكون أشد وطأة في نشر الكذب، خصوصًا عندما تراجعت شركات التكنولوجيا الكبرى عن سياساتها الخاصة في تدقيق المعلومات، ومالأت الرئاسة الأميركية، ودعمت توجهاتها المثيرة للجدل. ومع أن سياسات

تلك الشركات التدقيقية لم تكن كافية وفاعلة، إلا أن من المتوقع أن يفاقم التبدل في هذه السياسات حجم الكذب على المدى المنظور، بل ويتحول تحوير الحقائق – بسبب الحركة المذهلة لتطبيقات التكنولوجيا وارتباط الناس بها وتأثرهم بما تبثّه – أمرًا اعتياديًا. كما أنها في طريقها لأن تتحول لما يمكن تسميته بالكذب الاستراتيجي، والذي يصنع نمطية غير حقيقية لشعب أو لوقائع، لا علاقة لها بالضرورة بالأحداث اليومية. وكعادة الرؤساء الأميركيين، في الأيام الأولى لرئاستهم، في إصدار أوامر تنفيذية تتحول الى قرارات وسياسات عامة، بعضها يجد طريقه إلى التنفيذ وبعضها يتعثر لأسباب قانونية أو سياسية أو غير ذلك، كانت القرارات التنفيذية التي أصدرها الرئيس دونالد ترامب غير مسبوقة سواء بعددها أو بتنوعها. إلا أن أحد أهم القرارات التي ينطبق عليها إعادة تأهيل الواقع، كان العفو الذي أصدره ترامب عن عدد كبير من الأشخاص، كان من بينهم روس أولبريخت، مؤسس منصّة "سيلك رود" التي أتاحت بيع وشراء الأسلحة والمخدرات عبر العملة المشفرة بيتكوين من دون أن يفصح القائمون بهذا العمل عن شخصياتهم الحقيقية، إلى حد أن الادعاء الأميركي وصفه بـ"أكثر المجرمين تعقيدًا وشمولية على الإنترنت". إلا أن الأهم في قائمة العفو، التي تصب في خانة التغيير النمطي الاجتماعي، وإعادة تأهيل محكومين بجرائم، كان العفو عن قرابة 1500 شخص أُدينوا بجرائم الاعتداء واقتحام مبنى الكونغرس، أثناء انعقاد جلسة تنصيب الرئيس السابق جو بايدن، وتوسُّل العنف في 6 كانون الثاني/ يناير 2021 لمنع الرئيس بايدن حينذاك من أداء اليمين الدستورية في مبنى الكونغرس، بما في ذلك الاعتداء على رجال الأمن. وبالتالي جاء هذا العفو تحديدًا ليمثِّل إعادة تأهيل وتغيير في نمط فئة اجتماعية، وتحويلها من واقعها الإجرامي إلى مجموعة من الأبطال. وسيأتي التاريخ يومًا ما لكي يصف تلك الفئة بالأبطال.

منذ صدور كتاب لماذا يكذب القادة، أو السياسيون، لجون ميرشايمر في عام 2012، وترجمته العربية في عام 2016 عن "سلسلة عالم المعرفة"، استجدت أمور كثيرة في هذا الإطار كان لها تأثير بالغ على تغيير وفعالية الوسائل والأدوات المستخدمة في الكذب، حتى تداخلت الأمور، إلى حد لم يعد بالإمكان تحديد من أين تبدأ وكيف تنتهي. ومع أن المضامين والدوافع للكذب، كما جاءت في الكتاب، لم تتغير بشكل جذري، إلا أن الأدوات تفاقمت وتنوعت وتشابكت، حتى أصبحت تضيف إلى المضمون بلا حساب. وقد أدى ذلك، ضمن ما أداه، إلى خلق ما يمكن وصفه بـ"البنية التحتية للكذب"، حيث بات ضروريًّا للسياسي، أو الفاعل الاجتماعي، أو غيرهما من المنغمسين في الفضاء العام، أن تتوفر له تلك البنية التحتية التي شهدت ولا تزال حالة تطور سريع ومذهل، يفوق أي اعتبارات. واللافت هنا أن مكونات أخرى، قد لا تكون سياسية في محتواها، صارت قادرة بسبب التطور التكنولوجي على التأثير بشكل مباشر أو غير مباشر في العملية السياسية، الأمر الذي يضع السياسيين في مأزق حاد. فهم قد يحتاجون إلى دعم من جهات غير واضحة المعالم، لتحقيق مآربهم. في المقابل، استجدت أحداث تاريخية في الإطار ذاته لتضيف بعدًا آخر لتشابك عملية الكذب وتداعياته. فمن الواضح أنه لم تعد هناك وسائل قادرة على كبح جماح تأثير التطور التكنولوجي. كما أن القوى الكبرى كافة صارت تخشى من حجم هيمنة شركات التكنولوجيا الضخمة وسيطرتها. فالولايات المتحدة، التي توجد فيها كبريات الشركات المهيمنة على الفضاء التكنولوجي، بدأت بما يسمى محاكمة العصر لشركة غوغل العملاقة. كما أن هناك تصورات تشريعية مطروحة لتفكيك تلك الشركات. كما أصدر الكونغرس الأميركي قانونًا مناهضًا لتطبيق "تيك توك" التابع لشركة صينية، والذي يستخدمه أكثر من 170 مليونًا في أميركا وحدها، لاعتبارات "أمن وطني"، وحددت

لتيك توك حتى تاريخ 19 كانون الثاني/ يناير 2025 خيارين: إما التوقف عن العمل في الولايات المتحدة الأميركية، وإما بيع تطبيق تيك توك لمستثمر آخر. وعبثًا حاولت "تيك توك" أن ترفع شكوى إلى المحكمة العليا بحجة انتهاك حرية التعبير التي يكفلها القانون، إلا أن المحكمة العليا الأميركية رفضت بالإجماع حجة "تيك توك"، وأيَّدت اعتبارات الأمن الوطني الذي تضمّنه القانون. كان من أهم مفارقات قانون منع "تيك توك" أنه جاء قبل يوم واحد من تنصيب دونالد ترامب، الرئيس السابع والأربعين للولايات المتحدة، والذي أعلن بأنه سيستخدم صلاحياته في تأجيل أمر توقف "تيك توك" لمدة ثلاثة شهور، ريثما يجري إيجاد حل سياسي يسمح باستمرار التطبيق في الولايات المتحدة. والأرجح أن الحل سيتضمن شراكة أميركية–صينية تتوافق مع القانون وتسمح باستمرار "تيك توك" في العمل. ومن المقرر أن يحقق ذلك نقاطًا إضافية لمصلحة الرئيس ترامب في تحييده واستيعابه شركات التكنولوجيا الكبرى، وضمِّها لمصلحته. فقد كان لافتًا أن أصحاب شركات التكنولوجيا الكبرى، مثل ميتا وأمازون، قد خُصصت مقاعد مميزة لهم في حفل تنصيب الرئيس الأميركي، بعد أن غيَّروا سياساتهم وصاروا أكثر استيعابًا لوجود الرئيس ترامب، فتبرَّع ملَّاك كل من ميتا (فيسبوك وإنستغرام وواتساب وثريد وغيرها) وأمازون (واشنطن بوست وغيرها) وتشات جي بي تي بمبلغ مليون دولار دعمًا لحفل التنصيب. أما إيلون ماسك (صاحب إكس وتسلا وسبيس إكس وغيرها)، فقد كان أكثر اندفاعًا، حيث تبرّع لحملة انتخاب ترامب بأكثر من 250 مليون دولار، وقد ضمَّه ترامب إلى فريقه الرسمي بمنصب لتحسين الأداء الحكومي. يحدث ذلك بعد أن كانت تلك الشركات تقف من ترامب سابقًا موقفًا سلبيًّا، وتوقفه بدرجات متفاوتة عن استخدام منصاتها لاتهامه بالتحريض على العنف، وبث الأكاذيب؛ بل إن تغييرًا كبيرًا حدث في سياسات تلك الشركات – خصوصًا فيسبوك وإكس – ينحو إلى

التهاون في نشر المعلومات المغلوطة، وخطابات الكراهية، وإلغاء قيود كانت تفرضها على مستخدميها للتحقق من صحة المعلومات. أما أوروبا فقد أصدرت مجموعة من القوانين لحماية مواطني الاتحاد الأوروبي من تغوُّل الشركات، كان من بينها قانون فريدٌ، بمسمّى "الحق في أن ينساني الناس"، إضافة إلى فرض غرامات كبيرة على الشركات. أما الصين فقد اختطَّت خطًّا مختلفًا، حيث أوجدت لنفسها منصّاتها الخاصة، مثل وي تشات، وغيرها. في المقابل، استثمرت روسيا الاتحادية مبكرًا في خلق الأدوات الهجومية، والتي نتج منها اتهامات بتدخل وتلاعب مزارع ترولز في الانتخابات الرئاسية الأميركية.

وفي حين أننا نعني، ضمن ما نعنيه، التطور المذهل الحادث في مجال الفضاء السيبراني، والقدرات المذهلة التي تتيحها تلك التطورات لـ "الكاذب السياسي"، أو "الكاذب العام" (ولم يعد ثمة فرق كبير بينهما)، فإن تلك التطورات جعلت من غير الممكن فصل البدايات عن النهايات، إلى حد أن الكذب التقليدي الذي تطرَّق إليه الكتاب، وسعى سعيًا حثيثًا لتصنيفه، لم يعد كافيًا لمعالجة الحالة الراهنة. وبالتالي فقد نجح الكتاب الذي بين أيدينا في تشخيص الحالة الراكدة التقليدية للكذب، إن جاز التعبير، إلا أن ما جرى في الزمن التالي لصدور الكتاب، قد جعل الكذب يتم ضمن منظومة جديدة، لم يكن بالإمكان تخيُّلها. وقد أدى ذلك إلى أن تتعدى أكاذيب الفاعلين مجال الفضاء الإلكتروني، مثل "كيو أنون" و"أليكس جونز" مثلًا، إلى التأثير في الفضاء السياسي، بشكل مباشر وغير مباشر، مع أنهما وأمثالهما قد لا تنطبق عليهما صفة السياسي. فلا جدال في أن العالم يعيش في مأزق مركَّب في التعامل مع المعلومات وتدفقها، والتمكن منها، وفحصها.

وقد كان لافتًا أن شركات الفضاء الإلكتروني – أمثال فيسبوك وإكس (تويتر سابقًا) وغيرهما – قد صارت تتعامل مع الفضاء السياسي كأنها

دول، وليس أدلَّ على ذلك من قيام تويتر بحجب حساب الرئيس الأميركي دونالد ترامب نهائيًا خلال أواخر رئاسته السابقة، وتبعتها فيسبوك معلنة أنها قامت بذلك بشكل مؤقت، بسبب خطابه التحريضي وبثِّه الأكاذيب. فما كان من ترامب إلا أن قام بتأسيس منصّته الخاصة "تروث سوشيال"؛ أي إن منصَّته تمثل الحقيقة، وإنه يقاتل في سبيل حرية التعبير. هكذا اختلطت الأمور بين من يكذب ومن يدعي الحقيقة، بل إن الاتهامات التي واجهها ترامب قبل انتخابه، وأشدها وطأة اتهامات خطيرة في التلاعب والتأثير والتدخل في الانتخابات الرئاسية الأميركية لعام 2020، نجده وقد فسّرها بأن تلك الاتهامات تمثل تدخلًا صارخًا في الانتخابات. ومن اللافت أنه بعد فوزه بالانتخابات الرئاسية، برزت أفكار له لمعاقبة تلك الشركات، بل إن الأمور اتخذت منحى آخر، حين تغيّرت مواقف تلك الشركات العملاقة، فأعلنت شركة ميتا (المالكة لفيسبوك وواتساب وإنستغرام وثريد وغيرها)، وصاحبها مارك زوكربرغ، بالإعلان عن تبرعه بمليون دولار لحفل تنصيب الرئيس ترامب بشكل رسمي في 20 كانون الثاني/ يناير 2025.

ومع أن منصة تروث سوشيال التي أسسها ترامب، بسبب منعه من استخدام المنصات الأخرى، لم تحقق النجاح الذي كان يحققه له تويتر، إلا أن التطور التكنولوجي أتاح له إيجادها، وهو أمر لم يكن ممكنًا في السابق. وكان لافتًا أن شخصية مثيرة للجدل، مثل إيلون ماسك الرجل الأغنى في العالم الذي اشترى تويتر بمبلغ خيالي، ثم غيَّر اسمه إلى إكس، كان قد دعا ترامب للعودة إلى تويتر، الذي بدوره رفض العودة وأصرَّ على البقاء في منصّته "تروث سوشيال"، ثم ما لبث أن عاد إلى تويتر عندما أراد تسويق صورته الغاضبة أثناء تسليمه نفسه للأجهزة العدلية، في ولاية جورجيا (آب/ أغسطس 2023)، والتي أدخلها ضمن حملته الانتخابية وجنى منها مبالغ جيدة. بل إن تحولات

ملّاك شركات التكنولوجيا العملاقة قد صارت واضحة للعيان، في سبيل إرضائهم ترامب.

يبدو أن الكذب العام السياسي وشبيهه قد مرَّ بثلاث مراحل:

الأولى مرحلة الكذب التقليدي المبرمج، والواضحة بداياته ونهاياته، والذي يحترفه السياسيون، والذي عالجه الكتاب مع التركيز على الحالة الأميركية.

والمرحلة الثانية هي تلك التي انتشرت فيها البنية التحتية للكذب من طريق مزارع تترولز، وربما يُطلق عليها "الذباب الإلكتروني"، والتي امتهنتها دول عدة، وتتخذ أسلوبي الهجوم والدفاع في آن. كما تضمّنت هذه المرحلة عمليات تدخل إلكتروني عالي الاحتراف ضد دول، وبالذات في فترة الانتخابات، ومن ملامح هذه الفترة أيضًا ظهور ممارسات صناعة الانتخابات المبرمجة مثل شركة "كامبردج أناليتيكا" التي وقعت في فضائح كبيرة، حتى أُغلقت. كذلك من ملامح هذه الحقبة ظهور جهات وأفراد فاعلين اجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا، وربما يستحق الأمر التوقف بشيء من التفصيل عند "كيو أنون"، وهو عبارة عن حركة غير معروف من يديرها، إلا أنها تحظى بمتابعة كبيرة، واعتناق لفكرها بلغ درجة العقائدية عند المتابعين. وليس أدل من ذلك ما عُرف بحادثة "بيتزا غيت"، والتي دفعت شخصًا تأثر بادعاءات كيو أنون عن وجود مطعم بيتزا يُعتدى فيه على الأطفال في سرداب، في العاصمة الأميركية، فما كان منه إلا أن حمل سلاحه، وتوجَّه إلى ذلك المكان، ليكتشف أن الأمر لم يكن إلا كذبة، ولم يجد إلا مطعمًا يبيع البيتزا، كما أنه لم يكن في المطعم سرداب أساسًا. وبالإمكان قراءة تفاصيل عن كيو أنون في كتاب حديث (2023) بعنوان **الوباء الآخر، كيف سمّم كيو أنون العالم؟** من تأليف جيمس بول. كذلك متابعة

أليكس جونز، المؤثر جدًا في بث نظرية المؤامرة، الذي اتهم أهالي الأطفال الذين قتلوا بمدرسة بأنهم افتعلوا الحادثة، وأن تلك المجزرة التي راح ضحيتها أطفال لم تكن إلا كذبة كبيرة، وكان أن انساق ملايين المتابعين لادعاءاته وصدَّقوها، وتعرض أهالي الأطفال لمضايقات شديدة، إلى أن نجح الأهالي بمساعيهم القضائية في محاكمته، وفرض غرامة كبيرة عليه. ومن ملامح تلك المرحلة أيضًا، أكبر قضية تسوية إعلامية في التاريخ حين اتهمت محطة فوكس نيوز التلفزيونية شركة برمجيات انتخابات بأنها تتلاعب بالتصويت وبحساب الأصوات، وحين تحركت شركة برمجيات الانتخابات ولجأت إلى القضاء، اضطرت فوكس نيوز مرغمة إلى عقد تسوية مالية ضخمة غير مسبوقة، قضت بدفع مبلغ ضخم، وهي أكبر قضية تسوية إعلامية في التاريخ، ولعلها من إرهاصات هذه المرحلة. ويأتي ضمن هذه المرحلة أيضًا ما تمخضت عنه حالة العالم بسبب جائحة كوفيد 19، والذي نتج منه زيادة كبيرة في تركيز الناس على استخدام تكنولوجيا الفضاء، وظهور أدوات ووسائل جديدة مثل تيك توك وزوم وغيرهما، حتى باتت تلك الأدوات والوسائل متاحة للجميع ومن الصعب السيطرة عليها، فلم يعد السياسي قادرًا وحده على استغلالها واستخدامها لتحقيق غاياته، بل نجده في أحيان كثيرة عاجزًا حتى عن مواكبتها والتحكم فيها، بل وجدنا السياسيين يحاولون تفكيك تلك الوسائل والتقليل من هيمنتها، مثل تقييد حرية تيك توك في أماكن عدة من العالم، وبالذات في الغرب. ومن ملامح هذه المرحلة أيضًا ظهور أشكال عدة من الكذب مثل "ديب فيك"، الأمر الذي ترتب عليه ظهور العديد من المراكز البحثية مثل "سيتيزن لاب" في كندا، التي باتت مهمتها التصدي للأكاذيب وتمحيص المعلومات، لتبرز مناشط جديدة للتصدي للكذب، وأطلق عليها صفة مراكز التأكد من الحقيقة. ومع أن تلك المناشط قد تكون

محدودة أحيانًا في انتخابات، أو حملة سياسية أو اجتماعية معينة، فإنها باتت أكثر قدرة على التنظيم والتأثير. فعلى سبيل المثال تتقاطع قضية الإجهاض، وحيازة السلاح في الولايات المتحدة، بين التوجه الاجتماعي والثقافي والسياسي، وإذا أخذنا مثلًا قضية الإجهاض في الولايات المتحدة، وجدنا أن الحملة لمنع الإجهاض نجحت في بلوغ المحكمة العليا، التي حكمت بإلغاء حكمها الشهير والمعروف بـ"روز ضد ويد" الذي صدر في عام 1973، والذي نصَّ على أن الإجهاض حق دستوري للمرأة وبالتالي لا يحق لأي ولاية أن تمنعه، لأنه حكم فدرالي. كان واضحًا تداخل المسألة الاجتماعية الثقافية، وربما الدينية، مع الجانب السياسي، حيث لا يمكن أن تكون يمينيًّا محافظًا، وفي الوقت نفسه مؤيدًا للإجهاض، وبالتالي ما إن صدر حكم المحكمة العليا بإلغاء الحكم بالحق في الإجهاض، حتى تدافع السياسيون اليمينيون في ولاياتهم إلى إصدار القوانين والإجراءات للتضييق على الإجهاض. إلا أن الملاحظ أن القضية المثيرة للجدل لا تصب في مصلحة اليمين بحسب استطلاعات الرأي وبعض الانتخابات الجزئية. وقد كان واضحًا تأثير "البنية التحتية للكذب" في إحداث التأثير على آراء الناس وتوجهات تلك القضايا ومساراتها.

أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة التي نعيشها الآن، وهي مرحلة ما يطلق عليه الذكاء الاصطناعي، وهي ترجمة غير دقيقة، ولكن لا بأس. بدءًا من تطبيق تشات جي بي تي إلى مشتقات أخرى في طريقها للظهور. ومع أن منتجات الذكاء الاصطناعي لها استخدامات مفيدة وبالذات في الجوانب الطبية والعلمية، لكنها بطبيعة الحال صارت داعمًا للبنية التحتية للكذب في جميع المجالات بلا استثناء، ولأنها ذات طبيعة سائلة، فإن الأمور فيها تتداخل بشكل غير مسبوق، ولربما كان ذلك هو السبب الذي أدى بمجموعة من كبار العاملين والخبراء وملَّاك التكنولوجيا

الكبرى، الذين كانوا من صنّاع "الذكاء الاصطناعي"، أن يصدروا بيانًا وقّعه العشرات منهم يحذّرون فيه من مخاطر الذكاء الاصطناعي كونه سيكون خارج السيطرة.

ولعل أحد الأمثلة المثيرة هي حكم محكمة أميركية بأنه لا يحق لأي نوع من الفن صُنع من طريق تشات جي بي تي أن يطالب بالملكية الفكرية، بل إن بعض المجلات العلمية بدأت تنشر أبحاثًا يكون فيها المؤلف كليًا أو جزئيًا هو تشات جي بي تي. كما أن اتهامات تُوجَّه إلى تشات جي بي تي بأنه متحيّز وكاذب وغير ذلك من الادعاءات، التي يبدو أنها مجرد بداية، غير معلوم كيف تنتهي أو إلى أين ستؤول الأمور.

نحن نعيش في الحقبة الثالثة من التطور التكنولوجي، الذي صار بسهولة خالقًا للبنية التحتية للكذب؛ فبوجود هذه المنصّات صار الكذب أكثر سهولة، وصار بالإمكان استخدامه بتكاليف أقل، وصار لا بد من التعامل مع الأمر بمزيد من الجدية، وهي مسألة مثلها مثل الكثير من المسائل التي يتحدث عنها العالم ويطالب بإصلاحها بلا جدوى، كالاتجار بالبشر، وأزمة اللاجئين، وغسيل الأموال، وخطاب الكراهية، والعنصرية، والتغير المناخي، وربما لم تشهد عملية استعراض للكذب، كما حدث خلال نحو عام ونصف العام من الحرب الصهيونية على غزة، حيث استخدمت أنواع الأكاذيب كافة لتبرير الحرب والعدوان كما أفادت دراسات عدة حديثة بهذا الخصوص.

المرحلة الثالثة يبدو أنها ستكون الأكثر حدة والأكثر شدة، ومن الصعب التنبؤ بنتائجها، بل وستتجاوز الأكاذيب التقليدية، مثل أكاذيب النائب الجمهوري جورج سانتوس، عن نيويورك، في مؤهلاته، وأمور كثيرة كذب فيها، أدت في نهاية الأمر إلى إجراء نادر بطرده من الكونغرس، أو الحكم بإدانة محامي ترامب رودي جولياني، بسداد مبلغ 148 مليون دولار

لعاملتين في مقر انتخابات ولاية جورجيا الأميركية، بسبب تلفيق اتهامات كاذبة لهما بالتلاعب بنتائج الانتخابات ضد ترامب.

إن الحقبة القادمة في بنية الكذب لا يمكن التنبؤ بها ولا بآثارها، إلا أنها ستتزايد وتتفاقم، حيث وصلت المسألة إلى حد قيام تلك الأدوات والوسائل التكنولوجية بنشر الأكاذيب من ذاتها، فيتحول السياسيون إلى تابعين لأكاذيب الأجهزة، بما يخدم مصالحهم. لذلك صار الجميع، وبالذات المختصين من حكومات وسياسيين وشركات تكنولوجيا، يحذّرون من خطورتها ويطالبون بالحد من مضارها لأنها قد تكون خارج نطاق سيطرتهم.

غانم النجار

الكويت، كانون الثاني/ يناير 2025

مقدمة المترجم
(2016)

لآل سيكيل كتاب معبّر بعنوان **أساتذة التضليل**، لا يتحدث فيه عن التضليل السياسي، لكنه يسهب فيه عن منشط آخر من مناشط الحياة، وهو الفن. يتحدث فيه سيكيل بالكلمة والصورة عن فناني الخداع البصري، وفي مقدمهم المثير للجدل دائمًا سلفادور دالي، وموريتس إيشر. فهما يضللان العين بمتناقضات بصرية، تترك تفاعلات في حاشية الذات البشرية، كما في متنها. يستعرض الكتاب أكثر من 400 سنة من فن الخداع البصري، بما يتجاوز التوقعات.

حاول فنانو الخداع البصري بنجاح التناغم بين الواقع وما بعد الواقع، وتحويل الأشياء إلى بشر وبالعكس، وإدخال البشر بالأشياء، بطريقة تجعل الرائي يرى الصورة على غير حقيقتها، وربما تدفعه إلى التخيّل. كان ذلك على أيدي فنانين كبار مثل سكوت كيمز، وغيدو موريتي، وريكس ويسلر، وتأسيسًا على إيشر، نذكر مونيز، ودالي، وغونسالفيز.

وبقدر الجمال والتمايل والتلاعب التي يخلقها فن الخداع البصري، والتي يسعى ممارسوها من الفنانين لخلق زوايا مختلفة للنظر إلى الأشياء، إلا أن هذه العناصر لا ترتكز على منطق الخداع الذي يقوم به بعض البشر تجاه بعضهم الآخر، لكن الإبداع هنا كان في استخدام للثابت وتحويله إلى

حركة صاخبة، وتحويل للصورة واللون وأدوات أخرى إلى حركة ذهنية وربما حتى جسدية.

أما الكذب في السياسة، فله مسارات مختلفة عن الفن. فقد كاد الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون أن يُعزل من منصبه بسبب فضيحة حول علاقته بمونيكا لوينسكي، المتدربة السابقة في البيت الأبيض، وإصراره على الكذب، وإنكار الواقعة جملة وتفصيلًا. كان المفوض الخاص كينيث ستار، المكلف بملف القضية، شديد الوطأة في الضغط وإحراج الرئيس الأميركي، طالبًا منه الإجابة عن أسئلته أمام الملأ. وفي نهاية الأمر أُسقط بيد كلينتون ووافق على الخضوع للمساءلة العلنية عبر شبكة تلفزيونية مغلقة، وبُثَّت تلك الأسئلة المحرجة على قنوات التلفزيون مباشرة في عام 1998. كنت حينذاك أستاذًا زائرًا في جامعة هارفرد الأميركية، وقد تسنّى لنا الجلوس لمشاهدة ذلك الحدث التاريخي مع مجموعة من الزملاء في الجامعة، كان من بينهم أحد المختصين بحركة الجسد. كانت الخلاصة الأولية لتحليل منهجي، بأن كلينتون كان يكذب[1]، على الرغم من أنه كان يصرّ على العكس. وفي نهاية الأمر اضطر كلينتون إلى الاعتراف بضلوعه في تلك العلاقة. وقد أصبحت حالة استجواب كلينتون موضوعًا أثيرًا

(1) شهدت الولايات المتحدة خلال عامي 1998 و1999 أحداثًا استثنائية تتعلق بتركيبة بناء القوة. فقد وُوجه الرئيس الأميركي حينذاك بيل كلينتون بالتصويت على عزله من الرئاسة. وفي 19 كانون الأول/ ديسمبر 1998 وافق مجلس النواب على عزل الرئيس الأميركي بتهمتَي الكذب تحت القسم وإساءة استخدام السلطة. إلا أنه تمت تبرئته في 2 شباط/ فبراير 1999 في مجلس الشيوخ. وقد أتى فوز الديمقراطيين بانتخابات الكونغرس الأميركي في ذاك التوقيت لمصلحة حصول كلينتون على البراءة واستمراره في الرئاسة. وكلينتون هو ثاني رئيس يعزله مجلس النواب ويبرئه مجلس الشيوخ، حيث سبقه في ذلك الرئيس السابع عشر أندرو جونسون في عام 1868 الذي تولى الرئاسة بعيد اغتيال الرئيس أبراهام لينكولن. أما الرئيس الآخر الذي عُرض اقتراح بعزله فكان ريتشارد نيكسون الذي اتُّهم بالتجسس على سياسيين بما اشتهر باسم فضيحة ووترغيت. إلا أنه لم يُصوَّت على عزله بسبب استقالته قبل التصويت، ومن ثم عفو الرئيس جيرالد فورد عنه مما أسقط التهم الموجهة إليه.

للمختصين في حركة الجسد، للتدريب على كيفية اكتشاف الكذب، من خلال الحركات وردّات الفعل الجسدية.

ولعل أبرز الأكاذيب المتداولة في الحقبة التي شهدت التحضير للغزو الأميركي للعراق في عام 2003، كانت تلك التي أطلقها رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير، والتي تناولها كتاب جديد صدر مؤخرًا، بعنوان **الوعود المكسورة**[2]. يسهب الكتاب بالتفصيل في الكذب الذي مارسه بلير خلال رئاسته الحكومة البريطانية. كما أسهب فيها تقرير القاضي جون تشيلكوت، رئيس لجنة التحقيق في مجريات مشاركة بريطانيا في الحرب على العراق، والذي استغرق العمل به أكثر من سبع سنوات وصدر في تموز/ يوليو 2016.

كان ملحوظًا، على سبيل المثال، أن جزءًا رئيسيًا من الحملة الانتخابية للحصول على ترشيح الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الانتخابات الأميركية الرئاسية لعام 2016 تركز على اتهامات متبادلة بين المرشحين. كان آخر تلك الاتهامات، ما تعرّض له المرشح الجمهوري دونالد ترامب من انتقادات حادة بسبب كذبه حول مواقف سابقة له خاصة بالعراق وليبيا. ظل ترامب ينكر موقفه المعلن، ظنًا منه أنه لا يوجد تسجيل لمواقفه، كونه لم يكن حينذاك يمارس العمل السياسي. لكن بعد اكتشاف نسخٍ لتصريحاته، حاول التبرير، ولم يستطع الاستمرار في الإنكار.

يُعدّ الخداع الحاوية الرئيسية للكذب، وهو سلوك بشري يستهدف إظهار الحقيقة أو طمسها عن بشر آخرين، كي لا تظهر تلك الحقيقة كما هي أصلًا، وهو سلوك عادة ما يكون له هدف، وقد يكون ذلك الهدف أحيانًا نبيلًا، كما يرى مؤلف كتاب **لماذا يكذب السياسيون**.

(2) Tom Bower, *Broken Vows: Tony Blair The Tragedy of Power* (UK: Faber & Faber, 2016).

على المستوى الفردي، وبين البشر، هناك على الأقل 31 نوعًا من أنواع الكذب، يمارسه البشر في ما بينهم. مع ذلك، فإن عموم ثقافات البشر تتعامل مع الكذب على أساس أنه فعل ممجوج ومكروه، ويعبّر عن قيم متدنية، أو هكذا يفترض، أو كما وصفه إمانويل كانط بأنه أكبر انتهاك يمارسه الفرد ضد نفسه، ومع ذلك لا يتورع كثير من الناس عن ممارسة الكذب في كل وقت، بل والتفنّن فيه. حتى صار يبدو أن الكذب جزء أساسي من كيفية تعاطي البشر مع ذواتهم ومع محيطهم، من جماد أو حيوان، أو من طبيعة لا حدود لها. ومع أن الناس يمارسون الكذب بأشكال مختلفة، ومستويات متنوعة، لكنهم في المجمل لا يقرّون بكذبهم، بل يبرّرونه بمبررات متعددة، ليصلوا إلى نتيجة أنهم لم يكونوا قد كذبوا، وبالطبع لا أحد يقبل أن يوصف بأنه كاذب.

لقد انشغلت زمنًا طويلًا في محاولة تفسير الحدث السياسي، طارحًا السؤال الكبير التالي: هل الأحداث التاريخية الكبرى ليست أكثر من نتيجة طبيعية لتغير ونضوج ظروف مجتمعية واقتصادية وسياسية فحسب؟ أم أن هناك دورًا فاعلًا وحقيقيًّا ومؤثرًا للأفراد في خلق تلك الأحداث؟ بمعنى آخر، حتى لو قبلنا الظروف الموضوعية العامة محركًا أساسيًّا للأحداث الكبرى، هل كان لتلك الأحداث أن تتحقق لو أن أشخاصًا أساسيين لم يكونوا في المشهد السياسي المتحول؟ أو على الأقل هل كانت ستحدث بالطريقة نفسها؟ فعلى سبيل المثال، لو أن الرئيس الأميركي الحالي باراك أوباما كان هو الرئيس في عام 2003، هل كان سيغزو العراق حينذاك؟ من يدري، فهو سؤال افتراضي في أي حال.

كنت كلما امتد بي العمر وزادت حصيلتي من المعرفة، والخبرة العملية، والشهادة الشخصية على أحداث كبرى، ومعرفة أدق التفاصيل حول ما حدث، ومن ثم يتسنى لي قراءة ما كتبه الكاتبون أو الكاذبون أحيانًا عن ذلك الحدث، أكتشف أنهم أهملوا أو تغاضوا عن دور الأفراد

في الحدث، وركزوا على جزئيات غير أساسية في السياق، ولجأوا إلى المعايير الكبرى الحاكمة للتغيير، وابتعدوا عن قصد أو عن جهل، أو بسبب موقف فكري ومنهجي، عن تثبيت دور الأفراد، أو بعضهم، وإعطاء كل ذي حق حقه. بالطبع هذه ليست دعوة إلى إلغاء دور المعايير العامة في التغيير، لكنها تنبيه إلى ما نخسره كثيرًا في فهم ما جرى من تفاصيل وتحولات في المجتمعات. إذًا هل التحولات السياسية الكبرى هي جزء من عجلة التاريخ المحسومة سلفًا؟ بمعنى آخر، هل التغيرات التاريخية تحدث لأسباب ومعطيات اجتماعية؟ فإن كانت كذلك، فما هو دور الفرد في هذه المتغيرات؟ وهل للفرد وسلوكه أثر ما في تلك المتغيرات، أم أنه مجرد عنصر صغير بسيط الأثر لا يستحق الدراسة إلا بقدر؟ وحتى لا نخوض في جدل نظري، حيث إن موقعه ليس هنا، كنت أرى أن تأثير الأفراد، وخصوصًا السياسيين والقادة والدبلوماسيين والعسكريين، وربما الشخصيات العامة، لا يبدو بارزًا بصورته الشمولية في سياق الأحداث. وحتى إن جرى هنا أو هناك تركيز على دور هذا الفرد أو ذاك في الحدث، فإنه يجري التقليل منه بشكل مخلٍّ، وإبعاده عن مسرح الأحداث، انطلاقًا من أن الأحداث هي صنيعة عوامل أوسع من الأفراد. وتتحول تلك المسألة إلى إشكالية عندما يقوم بعض الناس بتضخيم وإعلاء دور فرد ما، أو قائدٍ ما، في مسيرة ما حتى تُلغى الأدوار الأخرى للأفراد أو للجماعات أو أي تكوينات أخرى على المستويين الأعلى أو الأدنى.

ربما كان ذلك هو ما دفعني إلى ترجمة كتاب "لماذا يكذب القادة" والذي حوّلناه إلى عنوانه العربي **لماذا يكذب السياسيون**. لم يأتِ الاهتمام بترجمة الكتاب فحسب بسبب التشويق الذي يثيره موضوع الكذب، وهو تشويق مطلوب ومحمود، لكنه جاء ضمن محاولات فهم دور الفرد عبر أدوات سلوكية عادية، كالكذب، في التأثير في الأحداث العامة والدولية.

هنا جاء هذا الكتاب محاولًا إضافة منهجية نادرة لفعل الأفراد، في أحداث كبرى، من طريق رصد ظاهرة الكذب وتحليلها في إطار العلاقات الدولية. وقد أُنجز ذلك كله بأسلوب تميز به المؤلف يجمع بين الرشاقة والرصانة. فالكتاب في حالته هذه موجَّه إلى عموم الناس وقابل للهضم والفهم والاستيعاب بعيدًا من التعقيدات الأكاديمية، رغم أن مؤلفه البروفيسور ميرشايمر أكاديمي متميز. وهو يمثّل محاولة جريئة ومستحقة تحسب للمؤلف الذي اعتاد على طرق المواضيع غير التقليدية.

كان التركيز بطبيعة الحال على الولايات المتحدة من دون إغفال العديد من التجارب الأخرى، وعلى رؤساء عدة في وسط الحدث، كيف كذبوا على الشعب الأميركي ولماذا، وما كانت النتائج المتوخاة، وإلامَ آلت الأمور؟ من الواضح أن المؤلف بذل جهدًا كبيرًا في رصد ظاهرة الكذب عبر التاريخ في كثير من الدول الغربية، ولم ينسَ في ذلك كذب إسرائيل على العالم لتبرير احتلالها واغتصابها فلسطين، خصوصًا أنه كان قد وضع للمكتبة الدولية كتابه المهم والمؤثر **اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة**، وهو دراسة مشتركة وموسعة عن العلاقات الأميركية-الإسرائيلية، الذي خلق جدلًا واسعًا لا يزال مستمرًا داخل أميركا وخارجها. ويبدو أن توفر المعلومات والدراسات والوثائق في المحيط الغربي كان مبررًا منطقيًا للتركيز على ظاهرة الكذب الدولي في الغرب. وفي ظني بأنها لو كانت قد تضمنت دولًا عربية أو عالمثالثية، مثلًا، لربما نجدها قد تحولت إلى رجم بالغيب، وظنون لا أدلة عليها ولا مستندات، وتخرصات قد لا توصلنا إلى نتائج قريبة من الواقع حول الكذب ودوره في العلاقات الدولية. فلدينا في محيطنا العربي من يُطلَق عليهم "كتاب كبار" أنتجوا للمكتبة العربية كتبًا كثيرة، لم تستند إلى منهج علمي، بل ارتكزت على أساليب بلاغية مشوّقة، وروايات مثيرة، أغلبيتها تجارب شخصية للكاتب، تضمنت الكثير من التناقضات الداخلية، كما تضمنت حجمًا لا بأس به

من الكذب. بل وجدنا الكتاب ذاته يصدر في سنة معينة ثم تصدر له طبعة لاحقة بعد تغير ظروف معينة، يقوم فيها الكاتب بتغيير بعض ما ورد في النسخة السابقة، لا تصحيحًا لها، ولكن بسبب تغير الظروف.

ومع أن ميرشايمر كان قد انطلق من فرضية أن هناك وظيفة للكذب قد تكون مفيدة في السياسة الدولية، وعالجها بعمق مبيّنًا أين يمكن أن تحدث الاختلالات والانتكاسات للكاذبين من السياسيين، إلا أنه أكد في المقابل أن حالات الكذب التي تعامل معها هي تلك التي يطلَق عليها الكذب الاستراتيجي، الذي يتوخى في مساعيه تحقيق مصلحة عامة وطنية. بمعنى آخر، إنه لا يتعامل في الكتاب مع الكذب الأناني أو الشنيع الذي يسعى السياسي الكاذب فيه لتحقيق أهداف شخصية أنانية، أو يهدف لحماية أفراد بعينهم.

نقف هنا بالطبع أمام إشكالية تحديد ماهية المطامح الشخصية والأنانية. فهل يمكن أن يكون البقاء في السلطة وتحطيم الخصوم، داخليين كانوا أم خارجيين، جزءًا من أهداف ومساع شخصية؟ يبقى السؤال مفتوحًا، تحدده طريقة تعريفنا للكذبة الاستراتيجية، وهي مسألة متصلة، وخاضعة لمزيد من المراجعة؛ فالمؤلف أوضح أنه على مشارف مجال جديد يحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص.

قد يشجع طرح الموضوع أكاديميًا باحثين عربًا لتوسيع دائرة التحليل لكي تشمل مناطق جغرافية أوسع وبالذات منطقتنا العربية والشرق الأوسط على إطلاقه، لكي يُنجزوا دراسة مقارنة للكذب في السياسة الإقليمية. أظن بأننا لو فتحنا هذا الباب على مصراعيه، وأخضعنا الكذب للدراسة المنهجية، فإننا موعودون بمفاجآت قد تسهم في إضافة نوعية للسياق العلمي الذي تناوله الكتاب. بالطبع ستواجهنا مشكلة حقيقية في حالة دراسة هذه المنطقة، هي ضعف التوثيق، وعدم وجود المصادر الموثوقة والمعتمدة.

لماذا يكذب السياسيون؟ رحلة في ما هو مسكوت عنه في العلاقات الدولية، وهي رحلة كاشفة للكثير من الأدوات التي ساهمت في تحريك حوادث تاريخية في أقاصي الدنيا، قام بها سياسيون كبار.

ومن المؤكد بأن الكتاب الذي بين أيدينا ليس إلا باكورة بحوث مماثلة في المجال ذاته ستؤدي إلى منهجية أفضل وأكثر قدرة على التوقع لمجريات الأمور.

وأهدي ترجمتي لهذا الكتاب

إلى روح والدي، رحمه الله، من جيل البحر، والسماء الزرقاء، وصدق وعطاء لا حدود لهما. حرص على أن نتعلم القراءة والكتابة، فكان له ما كان، وربما أكثر بقليل، وعلّمنا الصدق بكل ما أوتي من قوة، فكان خير معلّم.....

غانم النجار

الكويت، أيار/ مايو 2016

توطئة

في ربيع 2003، اتصل بي سيرغي شميمان من جريدة **نيويورك تايمز**، من دون سابق إنذار، وأبلغني بأنه يعمل على موضوع حول الكذب في السياسة الدولية للنشر في عدد الأحد من الجريدة. وقال بأنني خطرت في باله لسبب أو لآخر، لذلك قرر الاتصال بي. لم يحدث أن التقينا أو تحدثنا من قبل. بيّنت له بأنني لم أفكر في الموضوع مطلقًا، ولا أظن بأن فيه ما يستحق البحث، أو إن كان هناك أصلًا، كتابات علمية حول الكذب الدولي. فاقترحت عليه أن يسترسل في شرح فكرته، ومن ثم أعقِّب عليه. وقد فعلنا ذلك، ونتج من ذلك مناقشة مثمرة ومفيدة، استمرت لمدة ساعة كاملة. بعد ذلك، دوَّنت بعض الأفكار حول المحادثة الهاتفية، ووضعتها في أحد الملفات.

بعد بضعة شهور، وتحديدًا في أيلول/ سبتمبر 2003، وُجِّهت إلي دعوة من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT) للتحدث في موضوع بحسب اختياري. فكّرت حينذاك بأنه قد يكون مفيدًا أن أتحدث عن الكذب في السياسة الدولية. وهكذا استخرجت الملاحظات التي كنت قد دوّنتها سابقًا بعد محادثتي مع شميمان، ورتبتها بطريقة لتقديمها. وخلال السنوات الست التي تلت ذلك، كتبت بحثًا، وقدمت ثماني محاضرات أخرى، وتسنى لي النقاش والحديث مع عدد كبير من الأصدقاء والزملاء حول الموضوع.

وفي سياق ذلك، أذهلتني درجة تفاعل الناس مع موضوع الكذب الدولي. فكل جمهور، وتقريبًا كل فرد تحدثت معه، وجدته يتفاعل سريعًا وبحماسة ملحوظة، وكثيرون يريدون الحديث بإسهاب عنه. كما أرسل إلي عدد منهم رسائل إلكترونية لمتابعة المناقشة، ولتبيان مبادراتهم الخاصة، بما في ذلك أشخاص لم ألتقِ بهم في حياتي، كانوا حاضرين خلال إحدى محاضراتي.

أستطيع استخلاص أسباب عدة وراء اهتمام الناس بالموضوع. بدايةً، يعتبر معظم الناس الكذب سلوكًا مستنكرًا، على الأقل عندما يتعاملون مع الموضوع في بدايته. وهم لا يتقبلون أن يطلق عليهم أحد بأنهم كاذبون، حتى إن كانوا يمارسون الكذب بين الفينة والأخرى. بالطبع، إن الكذب تهمة خطيرة، وعادة ما يتردد الناس في إطلاق صفة الكذب على أحد، حتى ولو كانوا يعتقدون بأن التهمة مستحقة، ولكن نجدهم يستخدمون لغة أقل وطأة. وهكذا وجدنا عضو مجلس الشيوخ جون كيري[1] غير قادر على وصف الرئيس بوش بالكاذب خلال الحملة الانتخابية الرئاسية لعام 2004، مستخدمًا عبارة أقل حدة حين قال بأنه قد "أخفق في قول الحقيقة" عن العراق وأنه "قد ضلَّل الشعب الأميركي"[2]. لكن يبدو أن حقيقة اعتبار أن الكذب يُنظر إليه على أنه فعل مخادع، كانت أحد أسباب ميل الناس إلى التحدث عنه.

---

(1) جون كيري هو ذاته وزير الخارجية الأميركي الذي كان مرشحًا للحزب الديمقراطي في انتخابات الرئاسة الأميركية ضد الرئيس السابق جورج دبليو بوش في عام 2003. (المترجم)

(2) Mary Dalrymple, "Kerry Avoids Calling Bush 'Liar'," *MSNBC.com,* 24 September 2004, at: https://tinyurl.com/2ptsc7ry; David Stout, "Kerry Accuses Bush of Hiding the Truth about Iraq," *New York Times*, 16/9/2004. "Transcript: First Presidential Debate," *Washington Post*, 30/9/2004.

وكما يلاحظ دالريمبل، فإن أعضاء في حملة كيري الانتخابية لم يترددوا في وصفه بالكاذب، على الرغم من أن كيري ذاته كان رافضًا استخدام الكلمة. ينظر:

Patrick Healy, "Kerry Camp Lowers N.H. Expectations: Behind in Polls, Senator Now Seeks Spot in 'Top Two'," *Boston Globe*, 8/12/2003.

ومما قد يجعل الموضوع أكثر إثارة لدى الناس، هو أنني أرى بأن هناك مبررات استراتيجية للقادة لكي يكذبوا، في بعض الأحيان، على دول أخرى، وعلى شعوبهم أيضًا. بعبارة أخرى، ليس الكذب الدولي فعلًا خاطئًا بالضرورة، فهو يعبّر أحيانًا عن فراسة، وقد يكون ضروريًا في بعض الظروف.

إلا أن أكثر آرائي إثارة للجدل واستقطابًا للنقاش المحتدم هو قولي بأن رجال الدولة والدبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرًا. ولم يتفق مع مقولتي تلك إلا قلة قليلة، خصوصًا عند سماعهم لها أول مرة. فأغلبية الناس ينظرون بسخرية إلى هذه القضية؛ فهم يتصورون بأن هناك أمثلة لا حصر لها كذب فيها القادة بعضهم على بعض، وبالتالي فإن من السهولة بمكان استعراض حالات كثيرة من هذه الأكاذيب. وفي الأساس، هم يعتقدون بأن الكذب بين الدول هو أمر اعتيادي في السياسة الدولية. وقد قلت لهم بأنني في البداية كنت أتفق معهم، لكني بعد دراسة الموضوع، توصلت إلى أنهم مخطئون. فلا يوجد فعليًا كثير من الكذب بين الدول. وبالطبع لا يعني هذا بأنه لا يوجد ذلك النوع من الكذب إطلاقًا.

ولعل للموضوع مقارباته بسبب حرب العراق. فهناك كثير من المطلعين على بواطن الأمور مقتنعون الآن بأن حكومة الرئيس بوش كذبت على الشعب الأميركي في مرحلة تحضيرها للحرب، التي انتهى بها الأمر إلى أن تتحول إلى كارثة استراتيجية للولايات المتحدة. عندما تسوء الأمور في الحرب، ويعتقد الناس بأن الخداع كان السبب الرئيسي لشن الحرب، فإنهم يصبحون متحمسين جدًا للحديث عن الأسباب والدوافع التي جعلت من القادة يكذبون على مواطنيهم، كما عن العواقب الناتجة من ذلك الكذب. يضاف إلى ذلك الغياب الملحوظ للكتابات العلمية عن الكذب في السياسة الدولية، مما يقلل من إمكانية مناقشة هذه المواضيع بصورة خلّاقة.

وأخذًا في الاعتبار قلة الكتابات العلمية عن الكذب الدولي، مقابل الاهتمام الكبير بالموضوع، قررت أن أطوِّر بحثي عن الكذب إلى كتاب. هدفي الأساسي هو توفير أطر تحليلية قد تساعد في تنظيم تفكيرنا عن الكذب في السياسة الدولية، وكذلك الدفع ببعض التصورات النظرية عن جوانب أساسية في الموضوع. أتمنى أن يكون هذا الكتاب نقطة انطلاق لمناقشة موضوع على درجة عالية من الأهمية، ولم يحظَ حتى الآن بالاهتمام الكافي. فإن كنت قد نجحت في مسعاي، فسيتابع آخرون خطواتي، ويحسّنون أو يتحدّون أفكاري ومزاعمي.

لقد أثّرت أفكاري ورؤاي عن الكذب في جمهور واسع من أماكن مختلفة تحدثت بها مثل: مجلس العلاقات الدولية في نيويورك، ومعهد سالتزمان لدراسات الحرب والسلام بجامعة كولومبيا، ومؤتمر عام 2004 للجمعية الأميركية للعلوم السياسية، وسمينار بجامعة مونتانا، ومركز براون للسياسة الدولية بجامعة بنسلفانيا، وقسم العلوم السياسية بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT)، وبرنامج سياسات الأمن الدولية بجامعة شيكاغو، وملتقى لون ستار للأمن القومي، وورش عمل منتديات شمال–جنوب بإدارة أساتذة العلاقات الدولية بجامعة نورث وسترن، وجامعة شيكاغو.

عندما بدأت في ترتيب أفكاري حول الموضوع، استفدت كثيرًا من سمينار غير رسمي مع خمسة من زملائي في جامعة شيكاغو: دونغ صن لي، وتاكا نيشي، وروبرت بيب، وسيباستيان روساتو، وجون شويسلر. وأجدني ممتنًا جدًا للتعليقات المهمة التي قدمها ألكسندر داونز، وشون لين جونز، ومارك تراكتنبرغ، وستيفن والت، الذين تجدون بصماتهم منتشرة على مدى الكتاب.

ويستحق شخصان آخران كلمات شكر خاصة، وهما ديفيد ماكبرايد، محرر الكتاب في دار جامعة أكسفورد للنشر، والذي أدخل عددًا من

التعديلات المهمة أظهرت الكتاب بشكل أفضل. كذلك أقدِّر عالي التقدير حماسته لفكرة الكتاب، مما سهَّل من عملية إنجازه بالصورة المطلوبة. لكن أحدًا ما كان ليضاهي بحماسته حماسة وكيلي بيل كليغ ودعمه، حيث لم يقتصر دوره على تحفيزي لإنهاء الكتاب فحسب، بل وفَّر استشارات حكيمة لا يمكن الاستغناء عنها خلال عملنا.

كذلك أقدّر عاليًا الخبرة التحريرية لجيسيكا رايان وبن سادوك في دار نشر جامعة أكسفورد، واللذين ساعداني كثيرًا في وضع المشروع على الجادة الصحيحة. كذلك وصلتني تعليقات ممتازة ومقترحات من شخصين مجهولين قاما بالمراجعة للصحافة، وقائمة طويلة من الأفراد وبعضهم لم ألتق أيًّا منهم. وأذكر من هؤلاء إريك ألترمان، وستيفن أنسولابيهير، وروبرت آرت، وريتشارد بتس، وديفيد بلاغدن، وريسا بروكس، ومايكل إ. براون، وجوناثان كافرلي، وجوزف سيرينسيوني، ومايكل ديش، ولويس ديسيولي، ودانييل دريزنر، وديفيد إدلشتاين، وفرانسيس غافن، وهاين غومانس، وتشارلز غليسر، وإميلي غولدمان، وجينيفر هوكشيلد، وإيان هيرد، وروبرت جيرفيس، وحاييم كاوفمان، وكريستوفر لين، وكير ليبر، وإريك لوربر، وكارلو ماسالا، ونونو مونتيرو، ومايكل أوكونور، وجوزف بارنت، وسوزان بيترسون، وآرند بلاغه، وإريك بوزنر، وسينثيا روبرتس، ولورنس صامويلز، وديفيد شوارتز، وجاك سنايدر، وإيفان أريغوين-توفت، ومونيكا توفت، وبيتر توفت، وماثيو توبين، وستيفن فان إيفيرا، وأبراهام فاغنر، وألكسندر وندت، وجويل وسترا. وأعتذر إن كنت قد نسيت أحدًا.

والشكر موصول لكل من قدم يد المساعدة، حيث لم يكن بإمكاني كتابة هذا الكتاب من دون تلك المساعدة. وكلمات شكر خاصة إلى سيرغي شميمان الذي عرَّفني بموضوع الكذب الدولي وساعدني للتمعن فيه. وبالطبع، فإنني مسؤول عن كل خطأ أو تصورات غير صحيحة، لكني مدين لآخرين ساعدوا على العمق الذي تضمّنه.

ختامًا، أتوجه بالشكر لعائلتي، وعلى الأخص زوجتي باميلا، التي كانت عامل تشجيع لي في قضاء الساعات الطوال التي يستغرقها إنتاج كتاب عادة. وفي أي حال، فأنا أستمتع بالبحث والكتابة، لكنها تصبح عملية أسهل عندما يكون أكثر الناس المتضررين من انشغالك هم من يمنحك الدعم لتحقيق ما تصبو إليه. وعند الحديث عن الأسرة، أود أن أهدي هذا الكتاب لأولادي الخمسة الرائعين – آن وماكس ونيكولاس وجوليا وديفيد – الذين ظلوا مصدرًا للسعادة والافتخار لما يزيد على ثلاثة عقود.